# إعادة صوغ قواعد العربية

يوسف الصيداوي

أيها السيدات والسادة. السلام عليكم.

إنّ ما أورثنا آباؤنا من كنوز العلم والمعرفة لعظيم. وأقول عن اطمئنان، إنّ علم النحو ـ وإنْ كان أحدَها ـ قد لعمري أحاط بها. وما أنت بالمغالي ولا المتزيّد إن قلتَ: ليس عند الأمة عِلمٌ، يمثّل معارفها وحضارتها، ويعبّر عنهما، كما يمثّلهما ويعبّر عنهما علم النحو.

فمن أيِّ نواحيه تأمّلتَه، رأيتَه وعاءً لدين الأمة، وشِعرِها ونثرِها وأمثالِها، وتفلسفِها ومَنطَقَتِها، وتوزّعِها السُّكانيّ، واختلاطِ الشعوب فيها، وتربيةِ أبنائِها وتعليمِهم، ومجالسِ عِلْيَتِها ومناظراتِ علمائها، وبلاطِ خلفائها وقصور عمّالِها.

وليت شعري، ما الجانب الذي لم يَمَثّله علم النحو؟ .

فسمِّه إنْ شئت، مرآة حضارةِ أمّة، ولا تخشَ لوماً ولا تثريباً. ومن قال: هذه دعوى عريضةٌ، قلنا له: دونك البرهان:

أما دين هذه الأمة: فقد أجمع المؤرخون، على أنّ النحو إنما نشأ، لحفظه من جاهل لا يعرف قوانين العربية.

ويكفي من ذلك أن نذكّر بقصة الأعرابي الذي قدم المدينة، فأقرأه



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رجلٌ: ﴿ أنّ الله بريء من المشركين ورسولِه ﴾ بالكسر، فقال: [ إنْ يكن الله برِئَ من رسوله، فأنا أبرأ منه ] . وأنّ عُمَرَ أَمَرَ بعدَها، ألاّ يُقرِئَ القرآنَ إلاّ عالِمٌ بالعربية. وحَسبُكَ بعِلْمٍ هو الحَكَمُ في القرآن والدين.

ومن هنا أنْ قال أبو عمرِو بنُ العلاء، أيامَ كانوا يُطلقون مصطلح [العربية ] على النحو: [ لَعِلْمُ العربية هو الدين بعينه ] . فبلغ ذلك شيخَ الإسلام عبد الله بن المبارك فقال: [ صَدَق ] .

وأما التفلسف والمَنطَقَة : فيكفيك من تمثيل النحو لهما، أن يكون مِن علمائه الأوائل متفلسفون. ففي الفهرست، قال ثعلب عن الفرّاء :[ كان يتفلسف في تأليفاته ومصنَّفاته، حتى يَسلُك في ألفاظه كلامَ الفلاسفة ] .

كان هذا والنحوُ لا يزال في الأكمام، فإذا وصلتَ إلى أواخر القرن الرابع وجدت نحاةً كعليّ بن عيسى الرمّانيّ، قد ربطوا النحو بالمنطق والفلسفة، فبالغوا في الربط حتى عيبوا به، وأفرطوا حتى أُنكِر مذهبهم إنكاراً.

يقول ياقوت عن الرمّاني: [وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، حتى قال أبو عليّ: إنْ كان النحو ما يقوله الرمّاني فليس معنا منه شيء، وإنْ كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء]. فإذا وصلتَ إلى القرن السادس، وقرأتَ ما كتبه ابن الأنباري في [ الإنصاف] وفي [ الإغراب واللُّمَع ] وجدت الجدل النحوي، قد قُنِّنت له القوانين، ورأيت البرهنة على مسائله، قد صيغت لها الأسس، ورأيت حججه أخذاً وردّاً، قد وُضِعت لها الشروط. فتُوقِنُ عند ذلك أنّ المنطق، قد وَطَّد في علم النحو أركانه.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا، على أنّ العامل النحوي ـ وهو أخطر مسائل النحو قاطبة ـ إنما هو أثر من آثار الدين والفلسفة معاً. وتطبيقٌ يكاد يكون حرفياً، لما يقوله علم التوحيد ــ أو قل: علم الإلاهيّات ــ من أنّ مُوجِدَ الوجود واجبُ الوجود، إذ ليس يصحّ في العقول وجودُ معلولٍ عن غير علّة، أو موجودٍ بدون موجِد. ومَن أبَى ذلك، فقد رضي أن يُقْبِل النهارُ ويُدبرَ الليلُ ارتجالاً، وأن تُشرق الشمسُ وتَغرُبَ اعتباطاً.

وهذا هو شأنُ العامل النحوي: فإن وُجودَه واجبٌ، وإلاّ ارتفع المرفوع بغير علّة، وانتصب المنصوب على غير هدى، وانجرّ المجرور عبثاً. فهذا وذاك وذلك، لابدّ له من مُحْدِث يُحدِثه، ومُوجِدٍ يُوجِده، هو العامل. وما أدري، أمَن يقرأ بيت ابن مالك:

إنْ عاملان اقتضيا في اسمٍ عَمَلْ قبلُ، فللواحد منهما العملْ

أيُرمى بالإغراب إنْ قال: إنّ قولَ ابنِ مالك: [ فلِلْواحدِ منهما العمل]، هو أثر من آثار علم التوحيد، عن عمْدٍ من هذا الإمام، أو غير عمْد؟.

وأما شعرُ الأمة ونثرُها وأمثالُها: فالبرهنة على إحاطة النحو بها، تحصيلُ حاصل، ومضيعةٌ للوقت. فهي أصلاً مادّتُه، لم يَقُم إلاّ بها. ولو قلتَ: هو هي، لم تكن مبالغاً.

وأما تعايُشُ الأعراق وتساكنها على اختلافها: وما يُنشِئُه ذلك من تأثُرٍ بين لغاتها. ثم التوزّعُ السكانيّ، وما تُحدِثه مخالطة الأمم المجاورة، من انحراف في الألسن واعتلال، فقد بلغ النحوُ من تمثيل كل ذلك، غاياتٍ تأخذ بالألباب، ولو أنّ أجنبياً اطلّع عليها، لطار عقله عَجَباً وإعجاباً:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد وُضِع حَدٌّ زمني لما يُحتجّ به : فلا يُحتج بكلامِ محدَثٍ.
وخُطَّت له حدود جغرافية : فلا يُحتَجّ بكلامِ قبائلَ مجاورة للأمم الأخرى.
ورُسمت فواصلُ تأصيلٍ بين لغات الشعوب : فلا يُحتجّ بكلامِ مولَّد.

وأما التربية والتعليم: فحسبك أن تعلم أنّ النحاة كانوا هم القوّامين عليهما. وإنما نُعرِض عن ذكر أخبارهما، لنجنّب حديثنا هذا صفة القصّ. على أننا نجتزئ بخبرٍ واحدٍ منها، لدلالته:

من المعلوم أنّ الكسائي كان مؤدّبَ أولاد الرشيد. فلما أسنّ، أمره أن يختار لهم مؤدباً ينوب عنه. فقال لعليٍّ الأحمر [ قد عزمتُ على أن أستخلفك على أولاد الرشيد ]، فقال الأحمر: [لعلّي لا أفي بما يحتاجون إليه ] . فقال الكسائيّ: [إنما يحتاجون كلّ يوم إلى مسألتين من النحو، وثنتين من معاني الشعر، وأحرفٍ من اللغة. وأنا ألقّنك ذلك كل يوم قبل أن تأتيَهم، فتحفظُه وتعلّمُهم ] .

والطريف هاهنا، ما تنبّه له أستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله، وأجزل مثوبته، فقد علّق على هذا فقال: [ أتحفَنا هذا الخبر بنموذج من برامج التعليم الخاصّ يومئذ ].

وأما ما مثّله النحو من مناظرات، كانت تدور في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء، وما استحدثته الحضارة من مجالسَ يتبارى فيها العلماء، فقد امتلأت به الكتب، ويعرف تفاصيله أقلُّ الناس صلةً بشؤون اللغة، فاجتزأنا بذكره، وأعرضنا عن التمثيل له.

وبعدُ، فمن أين يجتمع لعلمٍ من العلوم، مثلُ هذا الذي اجتمع لعلم النحو؟!.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها السيدات والسادة

لَعلّي أطلت هذه المقدمة شيئاً، ولكنّ عذري أنّ ما أريد أن أقرّره، وهو مسألتان، ما كان ممكناً أن أخلص إليه، لولا هذه الإطالة؛ فعفواً.

أما المسألة الأولى، فأنّ هذا الإرثَ العلمي العظيم، وإن كان مثّل حضارة المجتمع العربي الإسلامي، من جميع أقطارها، فإن الذي لم يمثّله ولا كان ممكناً أن يمثّله، هو قواعد العربية، خالصةً مما لابسها من الفكر النحوي. وبتعبير آخر: إنّ هذا الفنّ العظيم، لم يستطع أن يخلّص القواعد من نفسه. وإذا كان للتشبيه بالشرنقة مكان، فهذا مكانه!!.

وأما المسألة الثانية، فهي مقوَّلة [تيسير النحو] . ففي مجامع اللغة[تيسير النحو] ، وفي الندوات: [ تيسير النحو ] ، وفي الصحف والمجلاّت:[تيسير النحو] . يرفعون راية هذه المقوَّلة: [يسّروا النحو، يسّروا النحو، يسّروا النحو] . والنحو لا ييسَّر. النحو لا ييسَّر إلاّ إذا يُسِّر رسم الجوكندا، أو يُسِّرت السمفونية التاسعة.

كلّ عبارة خُطَّت في هذا السِفر النحوي العظيم، إنما هي خيطُ لُحمة أو سدىً في ديباجِ نسيجه. فانظر ماذا تنسل وماذا تبتر!! واعلم في كل حال، أنّك بما تفعل، إنما تقطّع أوصال كائن حضاري، لو ملكَتْ مثلَه أمّة من الأمم الراقية، لحرصت عليه حرصها على إنسان عينها، ولعاقبت مرتكب تيسيره، عقابَ من يسيء إلى أمّة!!.

ولعل ظانّاً يظنّ، أننا بقولنا: [النحو لا يُيَسَّر] ، إنما ندعو إلى اليأس والقنوط. وأننا بقولنا: [لا تقطّعوا أوصال النحو] ، إنما ندعو إلى ركود مستنقعيّ. ونقول: كلاّ، بل ندعو إلى جدّ لارفق فيه، وتعب لا راحة معه.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إننا ندعو إلى قراءة هذا التراث العظيم، واستلال القاعدة منه، خالصةً من كل ما يحيط بها من تشعّب الآراء، وكلِّ ما يلابسها من التحيّز لهذا المذهب، أو ذاك. حتى إذا تمّ ذلك، شرعنا نعيد صوغها، باحثين عن الأسهل لفظاً، والأقرب إلى العقل وصولاً، واضعين نصب أعيننا أبداً، أن نَتْعب، ليستريح مَن يقرأ. وأن يُسيغ أبناؤنا قواعد لغتهم، كما تُسيغ حلوق الصبيان [غزْل البنات!!] .(١)

وإنّا لنعلم أنْ سيقالُ: هذا كلام مجرّد. يسهل إلقاؤه، ويستحيل تطبيقه. ونجيب: كلاّ، ما هذا بالمجرَّد ولا المستحيل. ولقد جرّبناه، فوجدناه شاقّاً عسيراً، ولكنه لم يكن مستحيلاً. فلقد أنفقت من عمري مُصعِداً نحوه، خمس سنوات إلاّ قليلاً(*)، منقطعاً إليه انقطاع المستغرَق المفتون، فلو صوّتَ إنسان - كما قال الشاعر القديم - لكدت أطير!! مُعْرِضاً عن كل شيء في الحياة، ملازماً الكتاب والحاسوب ثلاث عشرة ساعة كل يوم في الأقلّ. حتى لقد أساء ذلك إلى صحّتي.

وأنا ملقٍ إليكم الآن، مخطّط عملي، ثمّ عارضٌ عليكم ثلاثة نماذج مما عالجتُ من بحوث النحو، ونموذجاً من الأدوات، ونموذجاً من الصرف. فاللهمّ يسّر وأعن:

كسرت كتابي على ثلاثة أقسام:

**الأول**: فيه قواعد العربية، خالصةً من كل ما عداها. وسميته:

---

(١) غزل البنات: نوع من الحلوى يُولع به أطفال دمشق.

(*) كان إلقاء الكلمة في ٩٧/١٠/٢٩ ومنَّ الله فتم العمل في شهر نيسان من عام ١٩٩٩.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[الكفاف ] ليطابق اسمُه مسمّاه.

**والثاني**: نماذج فصيحة، تَلحَق بمعظم البحوث، أبيّن فيها موضع القاعدة، وأبسطها.

**والثالث**: تبيينٌ لما استرشدتُ به من المعالم والصُوى، في ذهابي نحو القاعدة. ودفاعٌ عن تجنّبي ما تجنّبتُ، وأخذي بما أخذت. ذاكراً مصادري ومراجعي، وأجزاءَها وصفحاتِها. مبتغياً بذلك أن يطّلع كلّ أحد، على الحجّة في الأخذ والردّ، فيعلم علماً لا ظنَّ معه، أنْ لا اعتباط في عملنا ولا ارتجال، وأن ما جاء في كتابنا [ الكفاف ] ، ليس تيسيراً للنحو، فالنحو لا ييسّر. وليس موجزاً لقواعد اللغة ـ كما يقولون ـ فالقاعدة من حيث هي قاعدة، لا توجَز. وليس قواعدَ لغير المتخصصين، فتخصيص قواعد لغير المتخصصين، إلى النكتة ما هو!! وسمّيتُ هذا القسم الثالث: [ الصُوى إلى الكفاف ] ، لأنه حقّاً كذلك. وبعدُ، فإلى الأمثلة، وقد آن:

**النموذج الأول هو [ المستثنى بإلاّ ] :**

**أولاً**: زحلقنا البحث في [ غير وسوى وليس ولا يكون وبيد ولا سيّما، وإلاّ بمعنى غير، وحاشا وعدا وخلا ] إلى قسم الأدوات. كما يقتضي المنهج العلمي. وتلك خطّة سرنا عليها في كتابنا كلّه.

**ثانياً**: اِطّرحنا من بحث الاستثناء ما سمّته كتبُ الصناعة: [ الاستثناء المفرَّغ ]نحو: [ ما جاء إلاّ خالد ] . ودافعنا في [ الصُوى ] عما ذهبنا إليه، فقلنا ما معناه: إنّ الاسمَ بعدَ [ إلاّ ] في هذا المثال، ليس بمستثنى، بل هو فاعل. وقد يكون في مثال آخر مفعولاً به، أو مجروراً بحرف جر، أو غيرَ هذا وذاك وذلك، ولكنه لا يكون في العربية أبداً، منصوباً على الاستثناء. وما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذاك إلاّ لأن التركيب هاهنا تركيبُ[حصر، أو قصر] ، كما يقول البلاغيون، لا تركيب استثناء. وشتان ما بينهما.

**ثالثاً**: في الاستثناء المنقطع، لزمنا لغةَ القرآن، وأعرضنا عن لُغَيَّة لتميم، قرأتْ بها ﴿ما لهم به من علم إلاّ اتّباعُ الظنّ﴾ بالضمّ، وأعرضنا إعراضَ إنكار ونفور، عن قول مَن يقول: إنّ في اللغة بدلاً مقلوباً!! نحو [ماسافر إلاّخالدٌ أحدٌ]. بعد هذا، نورد قواعدَ المستثنى:

**[المستثنى: اسمٌ يُذكَر بعدَ (إلاّ) ، مخالفاً ما قبلها، نحو: (جاء الطلاّبُ إلاّ خالداً) .**

**وهو منصوب قولاً واحداً، غير أنه إذا سبقه نفي أو شبهه، جاز مع النصب، إتباعُه على البدلية مما قبله].**

**حُكمان:**

**الأول: قد يتقدّم المستثنى على المستثنى منه. نحو: [لم يسافر إلاّ خالداً أحدٌ] .**

**والثاني: قد يأتي المستثنى ولا صلة له بجنس ما قبله، نحو: [وصل المسافر إلاّ أمتعتَه] .**

تمّ البحث، فهذه هي قواعد المستثنى بـ [ الا ]تامة .

**النموذج الثاني هو [المفعول به] :**

تجافينا في بحث المفعول به، عما اشترطت كتب الصناعة لتقديمه وتأخيره، من شروط خيالية، وأخرى يأباها الجدّ في الطلب، وقد استقصينا مناقشة ذلك في [الصُوى] ، وأضعفنا معظَم ما اشتُرِط. وكنّا نودّ إيراد جانب منه الآن، ولكنْ رأينا الإعجال يمنع من ذلك. على أننا نقول: إنّ مَن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتجافى عن تلك الشروط، ويُحكّم المنطق والشاهد، يجد البحث، وإن طوّلته كتب الصناعة، لا يزيد على قولك:

**المفعول به : هو ما وقع عليه فِعْلُ الفاعل فنَصَبَه . نحو: [ أكلِ خالدٌ رغيفاً].**

**أحكام تقديمه وتأخيره:**

**يجوز أن يتقدّم المفعول به على الفعل والفاعل نحو: [رغيفاً أكل خالدٌ] و [أكل رغيفاً خالدٌ] .**

**ويجب تقديمه في حالتين:**

**الأولى: أن يتّصل الفاعلُ بضمير المفعول نحو: [ ركب الفرسَ رائضُها ] . فيُقَدَّم وجوباً على الفاعل.**

**الثانية: أن يقع بين [أمّا] وجوابها، فيُقدَّم وجوباً على الفعل والفاعل معاً نحو: [ أمّا الغريبَ فأكرمْ] .**

تمّ بحث المفعول به، واستُكْملت قواعده.

**وأما النموذج الثالث فهو [النداء]:**

**النداء** في كتب الصناعة بحث واسع، كثير التأرجح والبلبلة، بلغ عند سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون أربعاً وثمانين صفحة، وعند عباس حسن، في النحو الوافي، مئةً وسبع عشرة صفحة.

واختلاف النحاة فيه، يكاد يكون في كل حكم وكل رأي. ويكفي من ذلك أن البصريين يقولون: [ يا خالدُ ] مبني على الضم في محل نصب، وأنّ الكوفيين يقولون: بل هو معربٌ مرفوع.

وتأمّلْ ماوراء هاذين الرأيين من تفريع وتشعيب، بُنِيا عليهما.

ولقد منّ الله فأسلس البحث قياده، بعد نحو شهر من الجدّ في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطلب، والرجوع إلى جميع ما نعرف في المكتبة النحوية من مطبوع: من كتاب سيبويه إلى واضح الصديق محمد خير الحلواني رحمه الله. فكان ما يلي:

ـ فصَلنا الندبة والتعجّب والاستغاثة عن المنادى. فأما الندبة فلأنها تفجّعٌ وتوجّع، وما أبعدهما عن النداء!! وأما التعجب فلأنه استعظام أمر، وأين هذا من ذاك؟! وأما الاستغاثة فلأنّها ـ وإن كانت نداءً ـ تظلّ في آخر المطاف صنفاً من صنوف المجرورات بالحرف.

ـ ثمّ اتجهنا رأساً في صوغ قواعد النداء، إلى ما تقول العرب حين تنادي، فاستمسكنا بأساليبهم، مبتعدين بذلك عن تنظير النحاة وتضارب الآراء. وناقشنا في [ الصوى ] أهمّها.

بعد هذا دونك البحث، وهو قسمان: قلنا في الأول:

**هكذا تنادي العرب فتنصب المنادى فتقول:**

**يا أهلَ الدار** سلامٌ عليكم :(لأنّ المنادى مضاف).

**ويا قارئاً كتب العلم** قيِّدْ فوائدها :(لأنّ المنادى مشتقّ عامل فيما بعده).

**ويا غافلاً** انتبه :(لأنّ النداء موجّهٌ إلى كل غافل، لا غافلٍ محدّد)

**وتضمّ العربُ المنادى فتقول:**

**يا خالدُ احذرْ** :(لأنه علمٌ مفرد).

**ويا رجلُ ما اسمُك؟** :(لأنه نداء موجَّه إلى رجل معيّن، وإن كنتَ لا تعرف اسمَه).

**وتنادي المثنى فتقول: يا مسافران،** تجعل في آخره ألفَ ونونَ المثنى.

**وتنادي الجمع فتقول: يا مسافرون،** تجعل في آخره واوَ ونونَ الجمع.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما القسم الثاني، من قسمي المنادى وهو: [ توابع المنادى ] ، وقد استغرق عند عباس حسن، أربعاً وعشرين صفحةً، فقد منّ الله علينا، فأقدرَنا أن نجعله في خمس كلمات فقط. وذلك إذ قلنا:

[قَدِّرْ قبلَ التابع (يا) محذوفة] تصبْ إن شاء الله.

تمّ بحث المنادى، واستُكمِلت قواعده.

ونقول لمن يعتريه الشكُّ في قاعدتنا الكلية هذه، إذْ يراها مؤلفة من خمس كلمات، لقد عرضنا عليها جميعَ حالات توابع المنادى، فصدقت عليها بغير استثناء البتّة. ودونك التطبيق:

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| يا خالدُ .. ابنَ سعيد | = | يا خالدُ | يا ابنَ سعيدٍ | : بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج. |
| يا سعدُ .. سعدَ العشيرة | = | يا سعْدُ | يا سعدَ العشيرة | : بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج. |
| يا خالدُ .. الفاضلُ | = | يا خالدُ | يا أيها الفاضلُ | : بعد يا المحذوفة اسم محلّى بـ[ ألـ] فيُضمُّ وتسبقه أيها حُكماً. |
| يا خالدُ و .. سعيدُ | = | يا خالدُ و | يا سعيدُ | : بعد يا المحذوفة علم مفرد ، فضمُّه على المنهاج. |
| يا أبا الحسن.. عليٌّ | = | يا أبا الحسن | يا عليٌّ | : بعد يا المحذوفة علم مفرد، فضمُّه على المنهاج. |
| يا عليُّ .. أبا الحسن | = | يا عليُّ | يا أبا الحسن | : بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج. |
| يا عليُّ و... أبا سعيد | = | يا عليُّ و | يا أبا سعيد | : بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج. |
| يا خالدُ.. صاحبَ زهير | = | يا خالدُ | يا صاحبَ زهير | : بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج. |
| يا رجلُ.. أبا خليل | = | يا رجلُ | يا أبا خليل | : بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج. |
| يا خالدُ.. الحسنُ الخلق | = | يا خالدُ | يا أيها الحسنُ الخلق | :بعد يا المحذوفة اسمٌ محلّى بـ [ألـ] فيضمُّ وتسبقه أيها حكماً. |

• **وأما النموذج الرابع فهو الأداتان: [مُذْ ومُنْذُ]:**

وقد وجدنا البحث فيهما منثوراً في خمسة مواضع من [جامع الدروس] مرة مع الظروف، ومرة مع الحروف، ومرة مع المبنيات، وهكذا...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووجدناه في ستّة مواضع من جزأين من النحو الوافي، آخرها بحث في الجزء الثاني استغرق عشرين صفحة. على أننا لم نجد ذلك موصلاً إلى قاعدة، تُعلّم الناس صحة استعمالهما. فاستعضنا عن كل ذلك بأن قلنا:

**مُذْ ومُنْذُ: أداتان مبنيّتان** (ظرفان للزمان) **تتماثلان في كل شيء إلاّ اللفظ، وتدخلان على الجمل والأسماء ولا يمتنع بعدهما إلاّ مجيء الاسم منصوباً.**

تمّ بحث مذ ومنذ، واستُكمِلت قواعده.

●**وأما النموذج الأخير فنموذج صرفيّ**: فلقد رأيت لغة العرب إيقاعاً وموسيقى، حقيقةً، لا مجازاً كما يظنّ الظانّون!! فكما لا يكون ثلجٌ بغير بياض، ولا ليل بغير سواد، كذلك لا تكون عربية بغير موسيقى وإيقاع. فلمفرداتها ـ أسماءً وأفعالاً ـ أوزان وإيقاعات، ما بين: فاعِلٍ ومفعول، ومُفَعْلِلٍ ومستفعِل، وفَعَلَ وفاعَل، وتفعلَلَ واستفعَل إلخ.... فإذا أنعمت النظر في هذه القوالب والأوزان، رأيت موسيقى داخلية تتخلّق في نُسْغ الحروف، قِصَراً وطولاً وتسلسلاً، ما بين ساكنٍ ومتحرِّك، وممدودٍ بقدْرٍ محدّدٍ مقيس.

**لغةٌ:** تراها بعينك حروفاً، وهي ـ لو أصغيتَ ـ موسيقى تتهادى.

وتخالها مفرداتٍ ، وهي ـ لو تدبّرتها ـ إيقاعٌ مُرْقِص.

وتظنها عباراتٍ ، وهي ـ لو علمت ـ هندسة تأخذ بالألباب.

وتحسبها جامدةً ، وهي تمرّ مرَّ السحاب.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعمري إنّها لمزيّةٌ مظاهَرة، وإنْ كان أئمة العربية، لم يروا منها إلاّ وجهاً واحداً، هو وجهها الآلي، الذي يقولون عنه: من الثلاثي يُصاغ كذا وكذا، ومن الرباعي كذا وكذا، وهلّم جرّاً... وأما الوجه الموقَّع الموسوق، فلم يروه. بل قل لم يسمعوه!! اللهمّ إلاّ أنْ يكون ذلك هو الخليلَ بنَ أحمد، عالِمَ أُمّتنا الفذّ، الذي لا تَعرف له العربية نظيراً ولا قريناً. فقد استفاد من موسيقى الأوزان مرة واحدة، في حدود علمنا. وكان ذلك حين جعل أوزان التصغير ثلاثة فقط، هي: [فُعَيْل ـ فُعَيْعِل ـ فُعَيْعِيل]. عليها تصغَّر جميع الأسماء في العربية، وتبلغ أوزانها المئات.

وصحيح أنّ الخليل لم يقل ذلك لفظاً، ولكن أنْعِم النظر، تجدْه قال وإن لم يقل. مثال ذلك أنّ [أحمر ومكرِم وسفرجل] تصغَّر عند الخليل على [فُعَيْعِل] أي: [أُحيمِر ومُكَيرِم وسُفَيْرِج]، وهذا وزن موسيقي إيقاعي. وأما وزنها عند الصرفيّين فـ[أُحيمِر وزنه أُفَيعِل ومُكَيْرِم وزنه مُفَيْعِل وسُفَيْرِج وزنه فُعَيْلِل].

فانظر إلى نِعمة الموسيقى في هذه اللغة العزيزة، وتأمّل كم تيسِّر التعلُّم على المتعلّمين، لو حُكِّمَت في كل موضع للأوزان فيه أثر!! ولقد حَكَّمْنا الموسيقى في أوزان الأفعال، مخالِفين عن طرائق النحاة والصرفيين. فجنينا من ثمرات ذلك خيراً عظيماً. فمجموع أوزان الأفعال في كتب الصرف، ما بين ماض ومضارع وأمر، مئةٌ وخمسةُ أوزان. وأما من الوجهة الإيقاعية، الموسيقية التي نأخذ بها، فهي ثلاثةَ عشر وزناً إيقاعياً فقط. وفيما يلي منهجنا:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد نظرنا إلى الأفعال على أنها أُسَر، لكل فعلٍ أسرة، أفرادُها ثلاثة: ماضٍ ومضارعٌ وأمر. ثمّ نظرنا إلى حركات حروفها، معرضين عن الحروف نفسها، وذلك أنّ حروف الأسرة تتغيّر وتتبدّل، وأما حركاتها وسكناتها فهي هي. أي: أحرفُها تتغيّر وإيقاعها ثابت، ودونك التمثيل بأسرة: [دَحْرَج]: (وقد استخلص إيقاعها، الموسيقيُّ العَلَم الأستاذ ميشيل عوض)

الماضي : [دَحْرَج] إيقاعه : [تك دم] : فَعْلن

المضارع : [يُدَحرِج] إيقاعه : [تتك دم] : فعولن

الأمر : [دَحْرِج] إيقاعه : [تك دم] : فَعْلن

وهاهنا إيقاعُ أسرةٍ واحدة، ينطبق على إحدى وعشرين أسرة، من أسر الأفعال في كتب الصرف، أو قُلْ إنْ شئت: إيقاعٌ واحد، يُغني عن معالجة ثلاثة وستين وزناً، ما بين ماض ومضارع وأمر. ونورد هذه الأسر عند الصرفيين، مع أمثلتها، على السريع:

- دَحْرَج، وزنُه: فَعْلل
- جلبب، وزنُه: فَعْلَل
- شَرْيَف وزنُه: فَعْيَل (قطع ورق الزرع)
- سَنْبَل وزنُه: فَنْعَل
- نَرْجَس وزنُه: نَفْعَل (الدواءَ: وضع فيه النرجس)
- تَرْمَس وزنُه: تَفْعَل (غُيِّب في الرمس)
- يَرْنَأ وزنُه: يَفْعَل (صبغ باليرناء أي: الحناء)
- عَشْرَن وزنُه: فَعْلَن
- جَلْمَط وزنُه: فَعْمَل (الشعرَ: حلقه)
- فَرْصَم وزنُه: فَعْلَم (الشيءَ: قطعه)
- سَنْبَس وزنُه: سَفْعَل (نبس)
- شعوذ، وزنُه: فَعْوَل
- حوقل = فَوْعَل (ضعُفَ)
- سيطر = فَيْعَل
- سَلْقَى = فَعْلَى (سلقاه ألقاه على الأرض)
- قَلْنَس = فَعْنَل
- مَنْدَل = مَفْعَل
- تابَل = فاعَل
- بَرْأَل = فَعْأَل (نفش الديك ريشَه)
- حَمْظَل = فَمْعَل (جنى الحنظلَ)
- هَلْقَم = هَفْعَل (عظَّمَ اللقمة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا عندهم، فدونك بعضها عندنا :

[تك دم ـ تَتَك دم ـ تك دم] : فَعْلن ـ فعولن ـ فَعْلن

| | | |
|---|---|---|
| ـ دَحْرَج | يدحرج | دحرِج |
| ـ شعوذ | يشعوذ | شعوذ |
| ـ حوقل | يحوقل | حوقل |
| ـ سيطر | يسيطر | سيطر |
| ـ سَنْبَل | يسنبل | سنبل |
| ـ مندل | يمندل | مندل |

لغتنا موقّعة موسَقة، فلِمَ لا نعلّم أبناءنا أن يغنّوها، بدلَ أن نسوقهم إلى المَشرَحة، ليروا تقطيع أوصالها؟! لقد تجافينا عن اجتثاث الخزَعات، والنظرِ إلى خلاياها بمجاهر المخابر!! وآثرنا أن يَسمع أبناؤنا بآذانهم، موسيقى لغتهم، وأن يكون النحو والصرف ـ كلما أمكن ذلك – سليقةً، يسبق بها اللسانُ عقلَ المتكلم وتفكيرَه.

وليتأمل المتأمل، ما الذي يبقى من عصفور يغرد ويغني طرباً، وينقُز ويطفُر حبوراً، إذا أَعْمَلَ الجرّاح مبضعه في جناحه وحنجرته، ليكشف لك عن أسباب الرشاقة في نقزه، والعذوبةِ في تغريده.

ولا يظنن ظانّ أننا نريد بما نقول، أن نسخّف جهد العلماء، وبحث المتخصصين ـ حاش لله ثلاثاً ـ وإنما نريد أن نقول: إن بحوثهم شيء، وتعليم أبناء أمتنا لغة قومهم سليقةً، شيء آخر.

وبعدُ أيها السيدات والسادة: فللّه وحده الكمال. وأما الزهو بالعلم فشُعبة من الجهل، والنقصُ والسهو والخطأ قدَرُ الإنسان، فأرجو أن نُعان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على ما قُدِرَ على هذا المخلوق الضعيف، بنقد يُدرَك به مسهُوٌّ عنه، أو يُقوَّم معوَجّ، أو يُوصَل منقطِع. والسلام عليكم .

## مراجع البحث ومصادره


- أسرار العربية/ ٢٠١و ٢٢٤ ابن الأنباري ت. محمد بهجة البيطار ـ المجمع العلمي العربي.
- الإغراب في جدل الإعراب ـ ابن الأنباري ت. سعيد الأفغاني ـ مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧.
- الإنصاف ـ ابن الأنباري/ ١٥٠و ١٥٨ و١٦٧ و٤٤٦ و١٨٠– ١٩٠ و١٩٣ ـ٢٠١ ت. محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة التجارية الكبرى.
- أوضح المسالك ٢/ ٦٠ + ٣/ ٧٠ ابن هشام. ت. محيي الدين عبد الحميد ط/٤ المكتبة التجارية الكبرى .
- البحر المحيط ٧/ ٢٦٣ أبو حيّان مكتبة ومطابع النصر ـ الرياض.
- توضيح المقاصد ٢/ ١٠٣ + ٣/ ٢٦٦ + ٤/ ٣ ـ ٣٢ـ الحسن بن قاسم المرادي ت. عبد الرحمان سليمان ط/٢ مكتبة الكليات الأزهرية.
- جامع الدروس العربية ٢/ ٢١٢ + ٣/ ٥٢ و٦٤ و٢٢٠ و١٢٣ و١٣٩ و١٤٥ مصطفى الغلاييني ط/٩ المطبعة العصرية.
- جواهر البلاغة /١٧٩ أحمد الهاشمي ط/ ١٢ المكتبة التجارية الكبرى.
- حاشية الصبان ٢/ ١٤١ + ٣/ ١٣٣ دار الفكر.
- الخزانة ١/ ٢١٢ + ٢/ ١٣٠ + ٣/ ٣١١ عبد القادر البغدادي ت. عبد السلام هارون ط/ ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ديوان جرير / ٧٣٦ ت. د. نعمان طه ط/٣ دار المعارف.
- رصف المباني في حروف المعاني/ ٣٨٥ و٣٩٣ـ أحمد بن عبد النور المالقي ت. أحمد الخراط ـ دار القلم.


هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

●الرماني النحوي د. مازن مبارك ط/ ٣ دار الفكر.

●شذور الذهب ١١٠ ابن هشام ت. محيي الدين عبد الحميد.

●شرح ابن عقيل ١/ ٥٩٧ + ٢/ ٢٥٥ ت. محيي الدين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي.

●شرح أبيات سيبويه ٢١٤ النحاس ت. أحمد خطاب ـ ط /١ المكتبة العربية ـ حلب.

●شرح الأشموني ١ /٣٩٠ + ٢ /١٣٥ دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي.

●شرح عيون كتاب سيبويه /١٥٧ هارون بن موسى القرطبي ت. عبد ربه ط /١ مطبعة حسان.

●شرح الكافية ١/ ٣٤٤ + ٢ /٧٥ + ٤ /٤٢٥ الرضي الأستراباذي. ت. يوسف حسن عمر ـ جامعة بنغازي.

●شرح المفصل ١ /١٢٧ + ٢ /٢ و٧٥ + ٨ /١١٨ ....١٢١ ابن يعيش ـ الطبعة الأزهرية.

●طبقات فحول الشعراء ابن سلام ١ /١٢ و١٥ و٢١ ت ـ محمود شاكر /دار المعارف.

●الفهرست للنديم ٤٦و ٧٣ ت. رضا تجدّد ١٩٧١.

●في أصول النحو ـ سعيد الأفغاني ط /٣ دار الفكر.

●قطر الندى /٢٠٤ و٢٤٣ ابن هشام ت. محيي الدين عبد الحميد ط/١٠ المكتبة التجارية الكبرى .

●كتاب سيبويه ـ ت. عبد السلام هارون١/ ٢٩١ +١٨٢/٢ و٢٢٩ و ٢٣١.

●كتاب سيبويه ـ بولاق ٣٠٣/١ + ١/ ٣٢٥.

●اللغة والنحو بين القديم والحديث /١٩٦ عباس حسن ط/ ٢ دار المعارف.

●المبسوط /٣٦١ ابن مهران ت. سبيع حمزة حاكمي ـ مجمع اللغة العربية بدمشق .

●مجمع البيان ٤/ ٤٨١ + ٨/ ٣٧٩ ط/ ٣ الطبرسي.

●المحتسب ٢/ ٣٩٩ ابن جني ـ ت. علي النجدي ناصف وزميله/ وزارة الأوقاف ـ مصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

●محيط المحيط ٧٣٨ و١٧٢/ بطرس البستاني ـ مكتبة لبنان .

●مدرسة الكوفة / ٢٦١ د. مهدي المخزومي ط/ ٣ دار الرائد العربي .

●معجم الأدباء ـ ياقوت ١/ ٥٣ و٥٤ و٦٨ + ١٤/ ٧٥ + ١٣/ ٥ و١٦٧ عيسى البابي الحلبي .

●مغني اللبيب/ ٣٧٢ ابن هشام ت. د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ـ دار الفكر.

●المفصل في تاريخ النحو ١٦٦و ٢٠١و ٢٠٢ د. محمد خير الحلواني ط/١ مؤسسة الرسالة .

●من تاريخ النحو ـ سعيد الأفغاني ط/ ٢ دار الفكر .

●الموجز في قواعد اللغة العربية/ ٣١٢ و٣٢٠ سعيد الأفغاني ط/ ٣دار الفكر.

●الموفي في النحو الكوفي ـ الكنغراوي /٦٤ شرح محمد بهجة البيطار – المجمع العلمي العربي .

●النحو الوافي ١/ ٣٥٧ و٣٦٦ و٣٧٠ + ٢/ ٢٩٩ و٢/ ٣١٣ و٥١٨ و٥٤٤ + ٤/ ١ عباس حسن ط/ ٥ دار المعارف .

●النشر في القراءات العشر ٣/ ٢٥٤ ت. محمد سالم محيسن ـ مكتبة القاهرة .

●نصّ ألفية ابن مالك: /١٩ + ٢٢ + ٣٨ + ٤٠ + ٤١ مكتبة محمد علي صبح ١٣٢٥ هـ .

●النكت في تفسير كتاب سيبويه ١/ ٥٣٩ الأعلم الشنتمري ت. زهير سلطان ـ ط/ ١ الكويت.

●الواضح في النحو والصرف /١٧٧ و١٨٤ د. محمد خير الحلواني ط/ ١ المكتبة العربية بحلب.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net